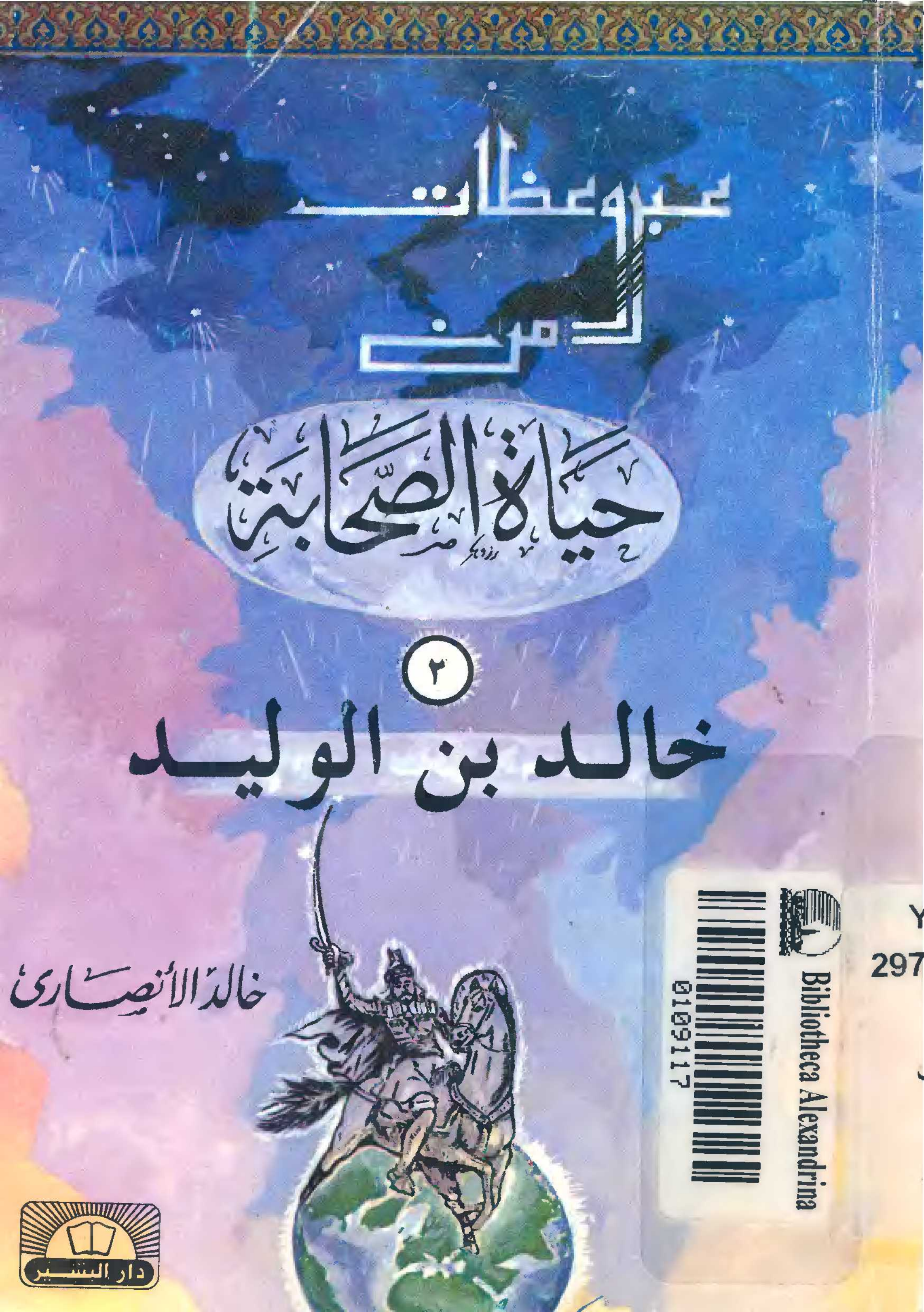

عبر وعظات من
حياة الصحابة
٢
خالد بن الوليد
خالد الأنصاري
دار البشير

عبر وعظات
من حياة الصحابة

(٢)

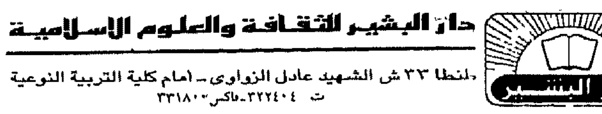
خالد بن الوليد

تأليف

خالد الأنصارى

الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م





دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

طنطا ٢٣ ش الشهيد عادل الزواوى - امام كلية التربية النوعية
ت ٣٢٢٤٠٤ - فاكس ٣٣١٨٠٢

تقـديم الكتــاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بعثه ربه للناس بشيرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

ورضى الله عن صحابته الغر الميامين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده . وكانوا كما وصفهم ربهم «أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود» [١]

ورضى الله عن كل من اقتدى بهم واهتدى بهديهم وسلك سبيلهم . واقتفى أثرهم إلى يوم الدين .

وبعد، فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أصحاب همم عالية ونفوس مطمئنة وقلوب عامرة بالايمان راغبين فيما عند الله سباقين إلى الخيرات حريصين على هداية الناس ودعوتهم إلى الله واخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

---

[١] الفتح ٢٩

ومن أجل هذه الغايات ساحوا فى الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ونسوا فى ذلك لذاتهم وهجروا راحاتهم وغادروا .مواطنهم وبذلوا نفوسهم وأموالهم من أجل مرضاة الله فكافأهم الله أحسن المكافأة وجزاهم خير الجزاء ففتح على أيديهم البلاد وهدى العباد ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فقد كانوا من المحسنين . وأثنى الله عليهم فى محكم كتابه فقال «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» [١] .

وكان فضل الله عليهم عظيما وخيره عميما إذ مكن لهم فى الأرض وجعلهم الوارثين وآواهم وأيدهم بنصره ورزقهم من الطيبات وزادهم على هذا الخير فى الدنيا . فمنحهم رضوانه وجنته فى الآخرة يقول عز من قائل «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم» [٢] .

---

[١] الحشر ٨ ، ٩

[٢] التوبة ١٠٠

ولما كانوا على هذا الحال العظيم وتلك المنزلة السامية وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم . . .»[١] .

ومن أجل ذلك وجب علينا حبهم والثناء عليهم والاقتداء بهم .

أما حبهم فلانه دليل على حب رسول الله ﷺ . وحب رسول الله موصل إلى طاعته ودليل على حب الله . يقول ﷺ «الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى . فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم . ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»[٢] .

ويقول ﷺ «إذا أراد الله برجل من أمتى خيرا ألقى حب أصحابى فى قلبه»[٣] .

وأما الثناء عليهم فلأن الله سبحانه أثنى عليهم كما ورد فى الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الحشر . وهيأ لهم جنته ومنحهم رضاه كما ورد فى الآية المائة من سورة التوبة وكما جاء فى آيات كثيرة .

والمؤمن الحق يثنى على من أثنى الله عليه . وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى سلوك هذا السبيل فى قول الله تعالى «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ،

---

[١] الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما

[٢] الحديث رواه الترمذى

[٣] الحديث رواه الترمذى والديلمى

ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم» [١].

وأما الاقتداء بهم فلأنهم خير القرون ولأنهم أول من يدخل فى قول الله تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس . . .» [٢].

ولأن الرسول ﷺ جعل النجاة من نصيب من اقتدى به وبأصحابه حين قال : «تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهن فى النار إلا واحدة ما أنا عليه اليوم وأصحابى» [٣].

ومعلوم بداهة أن الله لم يختر لأكمل أنبيائه إلا أكمل الأصحاب .

وعلى هذا فإن اتهام الصحابة اتهام لمن رباهم وعلمهم وانتقاص لقدر رسول الله ﷺ . وتشكيك فى الاسلام نفسه لأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هم الذين نقلوا إلينا كلام الله عز وجل وهم الذين حملوا إلينا سنة رسول الله ﷺ .

ومن هنا فقد عرفت الأمة لأصحاب رسول الله فضلهم . وظلوا فى نظر الأمة النجوم الزاهرة التى يهتدى بها فى ظلمات الحياة ومسالك الطرق .

والمتأمل فى حياة الصحابة الكرام يرى عظمة الاسلام ساطعة ويرى مقدرته الفائقة على صنع الرجال الأفذاذ الذين تنجلى بهم

---

[١] الحشر ١٠

[٢] آل عمران ١١٠

[٣] الحديث رواه الطبرانى فى الأوسط

الظلمات وتفرج بهم الكربات وتتحقق الأمجاد .

والصحابى الجليل خالد بن الوليد بن المغيرة القرشى المخزومى واحد من هؤلاء العظماء الذين صنعهم الاسلام . صحيح أنه كان من اشراف قريش وقائدا من قواد حربها . ولكن كم فى الدنيا من رجال حرب أو رجال دهاء وسياسة وفى الوقت نفسه تجدهم فى مجالات الاخلاق وسمو النفس فى الحضيض .

ولا يصنع الانسان صناعة متكاملة متوازنة إلا منهج الاسلام .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن خالدا أو غيره لم يكونوا ليصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالاسلام .

ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى قال : «والله لقد كنا أذل أمة فأعزنا الله بالاسلام ولو طلبنا العزة فى غيره أذلنا الله» .

وعلى هذا فإن خالدا ولد ولادة جديدة حين دخل فى الاسلام وتربى على تعاليمه . وهذا ما أراد الأخ المؤلف خالد الأنصارى أن يبرزه فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا . . . خالد بن الوليد أراد الله لخالد الهداية . وشرح صدره للاسلام وكان ذلك على إثر وصول كتاب إليه من أخيه الوليد الذى كان قد سبقه إلى الاسلام يقول فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام . ومثل الاسلام يجهله أحد . وقد سألنى

رسول الله ﷺ فقال أين خالد ؟ فقلت : يأتى الله به . فقال : ما مثل خالد يجهل الاسلام . فاستدرك يا أخى ما فاتك منه فقد فاتتك مواطن صالحة» .

كانت هذه هى البداية وما ان دخل خالد فى الاسلام حتى تعهده بالتربية رسول الله ﷺ ومن بعده صاحباه أبوبكر وعمر على نحو ما سنرى فى هذا الكتاب .

وقد بذل المؤلف جهدا طيبا فى الكشف عن الجوانب النفسية والايمانية فى شخصية خالد . وركز على وسائل التربية الاسلامية وأثرها فى تكوين خالد وفى صنع العظماء الحقيقيين .

وتلك طريقة جديدة فى البحث والدراسة ما أحوج الشباب المسلم إلى أن يتفهمها ويعيها وينتفع بها وتلك غاية من أهم الغايات التى تساق لها القصص ويطالع التاريخ .

وقد نجح المؤلف بعون الله فى تجلية هذا الجانب . واستخلاص الدروس والعبر من حياة خالد كواحد من تلاميذ المدرسة المحمدية الذين رباهم الاسلام فأحسن تربيتهم .

لقد اعتاد الكتاب والمؤلفون عند الكتابة عن خالد بن الوليد أن يذكروا له بطولاته العسكرية وعبقريته الحربية وما تحقق على يديه من انتصارات للاسلام . وتلك طريقة تعتمد على السرد التاريخى مكتفية بذكر الوقائع والأحداث مع الايغال فى التفاصيل .

لكن المؤلف سلك طريقا مختلفا اشار اليه فى المقدمة بقوله

«لكن الشيء الذى لم يدركه الكثيرون ان لخالد صولات وجولات فى ميدان اخر لا يعرفه إلا المنهمكون فيه والمنشغلون به . ذاك هو ميدان جهاد النفس ومناضلة آفات القلوب .

ولربما اثار ذلك استغراب البعض . ان نتحول فى الحديث عن خالد الى ساحات النفس عن ساحات القتال . وهو استغراب منشؤه غبار التصورات الارضية الدخيلة . اذ لا فرق فى التصور الاسلامى الأصيل بين هذا الميدان وذاك . بل ميدان النفس اصل ومنطلق الى ميدان القتال فكلما قطع المجاهد شوطا فى معركة النفس كلما حقق انتصارا فى ميدان القتال وكلما أخفق أخفق . وتلك قاعدة اصيلة ينبغى الا تغفل فى التصور الاسلامى» .

والمؤلف فى هذا على حق . لأن المجاهدين الذين يحملون راية الاسلام ليسوا مجرد رجال مدربين على القتال وحمل السلاح او ذوى خبرة عالية فى فنون الحرب وأساليبه فحسب . انما هم ـ الى جانب ذلك ـ رجال على درجة عالية من الايمان الحق . والاخلاص والصدق والتجرد راغبين فيما عند الله ينطبق عليهم قول الله تعالى «فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة» .[١]

وتلك هى النوعية التى صنعها الاسلام فسار النصر فى ركابهم .

والواقع ان المؤلف لم يكتف بهذا وانما استطاع ـ بفضل الله ـ

[١] النساء ٧٤

ان يضع خالد بن الوليد رضى الله عنه فى موضع القدوة امام شباب الصحوة الاسلامية فى الميادين الهامة التى اشار اليها المؤلف . كما انه عرف كيف يوظف هذه السيرة العطرة فى خدمة أهداف الحركة الإسلامية .

ومن هنا يكتسب هذا الكتاب قيمته . نسأل الله ان ينفع به كاتبه وقارئه وناشره وان يجعله فى ميزان حسنات الجميع انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

السيد عبدالمقصود عسكر
مفتش أول الوعظ والارشاد
بالأزهر الشريف



مقدمة الشخصية

نعم .. قد كان خالد بن الوليد بطلا مغوارا فى ميدان القتال ، شهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء ، ولا زالت بطولاته الحربية مضرب الأمثال حتى يومنا هذا !!!

لكن الشيء الذى لم يدركه الكثيرون أن لخالد صولات وجولات فى ميدان آخر ، لا يعرفه إلا المنهمكون فيه والمنشغلون به ، ذاك هو ميدان جهاد النفس ومناضلة آفات القلوب .

ولربما آثار ذلك استغراب البعض ، أن نتحول فى الحديث عن خالد إلى ساحات النفس عن ساحات القتال ، وهو استغراب منشؤه غبار التصورات الأرضية الدخيلة ، إذ لا فرق فى التصور الاسلامى الأصيل بين هذا الميدان وذاك ، بل ميدان النفس أصل ومنطلق إلى ميدان القتال ، فكلما قطع المجاهد شوطا فى معركة النفس كلما حقق انتصارا فى ميدان القتال ، وكلما أخفق أخفق ، وتلك قاعدة أصيلة ينبغى ألا تغفل من التصور الاسلامى .

ولقد كانت حياة خالد مثالا يحتذى به فى ذلك ، فقد انخرط فى معركة النفس منذ اللحظة الأولى لإسلامه ، وراح يصول ويجول فيها بين الكر والانقضاض ، مسجلا صفحات من الانتصارات لا تقل ـ بل تزيد ـ عن تلك التى سجلها فى ميدان القتال .

ودعونا نستمتع أولا بسرد وقائع حياته ، غير واقفين كثيرا عند جولاته القتالية ، فقد أشبعت ذلك الجانب بحوث قيمة لا نضاهى فضلها ، لكننا نقف طويلا أمام المشاهد التربوية الرائعة فى حياة ذلك الصحابى الجليل ، ثم نخوض غمارها نتدبرها ، ونستقى لأنفسنا منها عبرا كثيرة .

***



السرد التاريخى للشخصية

هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى ، أبوه الوليد بن المغيرة أحد أقطاب قريش ، شهد لحلاوة القرآن وعلوه ثم تنكب لشهادته فنزل قرآن يذمه فى سورة المدثر ، ومات على كفره ، وأمه لبابة الصغرى عصماء بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبى ﷺ ، وأخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبدالمطلب .

كان خالد من أشراف قريش ، وإليه كانت القبة وهى ما كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يحضرون به الجيش ، وكذلك كانت له الأعنة ، أى قيادة الخيل فى الحروب .

وقد شهد خالد الغزوات ضد المسلمين حتى الحديبية ، ومشهور ما قام به فى أُحد من دور بارز فى تحويل مسار المعركة لصالح المشركين ، إلا أنه كان يحس دائما ـ كما يروى بنفسه ـ أنه على غير شىء وان محمدا ﷺ سيظفر .

ولما كانت الحديبية وقد خرج على خيل قريش ، إذ هَمَّ بأن يغير على المسلمين بعد دخولهم فى الصلاة ، إلا أن النبى ﷺ صلى بهم صلاة الخوف فلم يتسن لخالد أن يفعل ما هم به ، فقال فى نفسه «الرجل ممنوع !!» .

وفى أعقاب معاهدة الحديبية حدث نفسه فقال : «أى شىء بقى ؟ أين .أذهب ؟ أإلى النجاشى ؟ فقد اتبع محمدا وأصحابه آمنون عنده ، أفأخرج إلى هرقل فأخرج من دينى إلى نصرانية أو يهودية ؟ أفأقيم فى عجم ؟ أم أقيم فى دارى بمن بقى ؟» .

وبينما هو على ذلك إذ دخل المسلمون لعمرة القضاء ، فتغيب عن مكة لئلا يشهد دخولهم ، ثم طلبه أخوه الوليد بن الوليد ـ الذى كان قد أسلم سلفا ـ فلم يجده ، فكتب إليه : «بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد . . فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ، ومثل الاسلام يجهله أحد ؟ وقد سألنى رسول الله ﷺ عنك فقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتى به الله ، فقال : ما مثل خالد يجهل الاسلام . . .» .

وعلى إثر الخطاب نشط خالد للإسلام والهجرة ، فخرج مع عثمان بن طلحة ، ثم التقيا بعمرو بن العاص واتجه الثلاثة إلى يثرب ، فلما دخل خالد على النبى ﷺ سلم عليه بالنبوة وشهد شهادة الحق ، فقال ﷺ : «قد كنت أرى ان لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير» ، فقال خالد : «يا رسول الله ، استغفر لى كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله»

فقال ﷺ : «إن الاسلام[١] يجب ما قبله، فقال خالد : «يارسول الله، على ذلك»، فقال ﷺ : «اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما

[١] يجب بضم الجيم وتشديد الباء : يمحو ويقطع

أوضع فيه من صد عن سبيلك» . وقد كان ذلك غرة صفر سنة ثمان هجرية، قال خالد :

«فوالله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أن أسلمت يعدل بى أحدا من أصحابه فيما يحزبه» [١]

ثم تبدأ رحلة خالد مع الاسلام .

فبعد ثلاثة أشهر يخرج فى صفوف المسلمين إلى مؤتة ، وقد أمر النبى ﷺ ثلاثة امراء يخلف بعضهم بعضا حال الاستشهاد ، ولكن جموع الروم الغفيرة استطاعت إحداث الخلل فى صفوف المسلمين واستشهد الأمراء الثلاثة ، فتناول اللواء ثابت بن أقرم وصاح بخالد : «خذ اللواء أبا سليمان» فقال خالد : «لا آخذه . . أنت أحق به ، لك سن وقد شهدت بدرا» فقال ثابت : «خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك» ثم صاح بالناس : «أصطلحتم على خالد ؟» قالوا : «نعم» فأخذه خالد ، فقال النبى ﷺ وهو جالس بالمدينة ينعت لأصحابه أحداث المعركة : «الآن حمى الوطيس وقال كذلك» «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد ين الوليد حتى فتح الله على يديه» وغير خالد فى ترتيب الجيش ما أوهم الرومان وأرهبهم ثم حمل بالمسلمين عليهم حتى تكركروا ثم انحاز راجعا إلى المدينة» [٢] ، قال خالد : «اندقت فى يدى يوم مؤتة

[١] يحزبه : يشتد به من أمر

[٢] أحداث المعركة بالتفصيل من كتب السيرة

تسعة أسياف فما صبرت فى يدى إلا صفيحة يمانية» وفى المدينة قوبل الجيش العائد بالصبيان يحثون فى وجوههم التراب يقولون : «يا فرار . . فررتم فى سبيل الله ، فقال ﷺ : «ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى» .

وفى فتح مكة أمره النبى ﷺ على الجناح الأيمن للجيش ، ورغم نهيه ﷺ عن القتال يومها فقد اضطر خالد لقتال نفر من أهل مكة تعرضوا له عند دخوله ، ولما راجعه ﷺ قدم عذره بأنه اضطر للقتال فقبله ﷺ منه .

ويعثه ﷺ بهدم القرى بأرض نخلة ، فخرج إليها فى ثلاثين فارسا فهدمها وحرقها . ثم بعثه على رأس سرية إلى بنى خزيمة ، فقتل منهم ـ بطريق الخطأ ـ أناسا مسلمين ، فقال ﷺ لما بلغه الحادث : «اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل خالد بن الوليد» ثلاثا ، وأرسل عليا فأعطى الديات حتى ميلغة الكلب[١] ، واستنكر عبدالرحمن بن عوف بشدة ما فعل خالد فاحتد عليه خالد ، فقال ﷺ : «مهلا يا خالد . . دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك مثل أحد[٢] ذهبا ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته» .

وفى حنين كان خالد على مقدمة الخيل فجرح وعاده النبى ﷺ ونفث فى جرحه فبرأ ، ومر ﷺ فى نفس اليوم بامرأة قتلها خالد فقال لبعض أصحابه : «أدرك خالدا فقل له : إن رسول الله ﷺ

---

[١] ما يشرب فيه الكلب

[٢] جبل أحد

ينهاك أن تقتل وليدا أو إمرأة أو عسيفا [١] » وعند تقسيم الغنائم صاح رجل بالنبى ﷺ : «هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، فقال ﷺ : «ويحك . ومن يعدل إن لم أعدل أنا ؟» ، وانبرى عمر وخالد يريدان ضرب عنقه ، فقال : لا . . لعله أن يكون يصلى ، فقال خالد : «وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه» فقال ﷺ : «انى لم أومر ان انقب عن قلوب الناس ولا أن أشق عن بطونهم» .

وبعثه ﷺ إلى بنى المصطلق لما أشيعت أنباء عن ردتهم وأمره ألا يقاتل حتى يتبين ، ففعل وانتظر حتى سمع الأذان ثم عاد دون قتال .

وكان آخر ما بعثه اليه ﷺ بنى الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يقيم فيهم ـ إن هم أسلموا ـ يعلمهم الاسلام ، فأقام فيهم شهورا ثم قدم بوفدهم على النبى ﷺ فبايعوا .

وفى خلافة الصديق كان خالد على رأس أكبر لواء فى الألوية الاحدى عشر الخارجة لردع المرتدين وقوامه أربعة آلاف ، فتوجه أولا إلى بزاخة حيث جنود طليحة بن خويلد فهزموهم شر هزيمة وفر الى الشام طليحة الذى أسلم فيما بعد وحسن اسلامه . ثم عرج خالد بجيشه على بنى تميم فأنكر بعض الأنصار ذلك محتجين بأن الخليفة لم يعهد بذلك ، فرد عليهم قائلا : «إن لم يكن عهد

---

[١] العسيف : الأجير والعبد الذى يستعان به

إليكم هذا فقد عهد إلى أن أمضى ، وأنا الأمير وإلى تنتهى الأخبار» ، ثم مضى تاركا وراءه الأنصار الذين راجعوا أنفسهم ثم لحقوا به ، ولم تذكر الروايات مقاومة كانت من بنى تميم ، إلا أن مالك بن نويره ـ أحد زعمائهم ـ وقع فى الأسر مع نفر من قومه ، ثم أمر خالد بقتلهم وتزوج من ليلى إمرأة مالك بعد ذلك

وتختلف الروايات ها هنا اختلافا كبيرا فيما إذا كان الأمر بقتلهم قد صدر صريحا من خالد أم التبس على الحرس فقتلوهم بطريق الخطأ ، وكذلك فيما اذا كان مالك قد قتل بعد اعلان اسلامه ام كان قتله بسبب اصراره على الردة ، ولكننا ـ على كل الأحوال ـ لا نشك فى نوايا خالد ودوافعه الطيبة كما أراد البعض ، وإن كان هناك ثمة خطأ قد وقع فمرده لا شك الى السهو أو خطأ الاجتهاد أو ان خالد تأكد من ردة مالك بن نويرة من الحوار الذى دار بينهما وذكره المؤرخون [١]

واحتد ابوقتادة واستنكر بشدة ما حدث ، وأقسم ألا يجمعه بخالد لواء بعد ، ثم قفل عائدا إلى أبى بكر الذى رفض مقابلته ثم امره بالعودة قائلا : «ارجع الى خالد »

واحتد عمر كذلك لما بلغه الخبر ، وألح على أبى بكر بعزل خالد قائلا : «ان فى سيف خالد لرهقا» ، إلا ان الخليفة أبى ذلك قائلا : «يا عمر تأول فاخطأ» «ويوليه رسول الله وأعزله أنا ؟»

[١] أنظر الطبرى جـ٣ ص ٢٤٣ والإصابة لابن حجر جـ٦ ص٣٦ .

و«اليك عنى يا عمر ما كنت لأشيم سيفا سلة الله» .

ثم استدعى الخليفة خالدا فقدم ودخل المسجد لابسا درعه الذى صدىء من كثرة الدماء ، وقد غرز فى عمامته أسهما ، فلما رآه عمر كذلك قام اليه وانتزع الاسهم وحطمها قائلا : «أرياء» ؟ قتلت امرءا مسلما ثم نزوت على امرأته ؟ والله لأرجمنك بالجنادل [١] » فمضى خالد حتى دخل على الخليفة الذى عنفه ثم عفا عنه وأمره بالعودة ومواصلة المهمة ، وأعطى أبوبكر دية مالك لأخيه متمم بن نويرة [٢]

ثم مضى خالد بجيشه نحو اليمامة حيث بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وهناك دارت معركة من أشرس المعارك التى خاضها المسلمون الأوائل سقط فيها العدد الكثير منهم ، ثم انتهت بهزيمة المرتدين ومقتل مسيلمة مع أعداد غفيرة من جنوده داخل ما سمى بحديقة الموت ، وانهار بذلك آخر وأكبر معقل من معاقل الردة فى الجزيرة العربية .

وعسكر خالد بجنده فى اليمامة حتى اشار عمر على ابى بكر بتسيير خالد الى العراق ، فأتاه كتاب أبى بكر بالمضى شمالا لغزو العراق ، على ألا يستعين بمن سبقت له الرده وإن كان قد عاد للاسلام ، كما سير الخليفة عياض بن غنم من طريق آخر على أن

---

[١] الجنادل : الأحجار

[٢] أما عن زواج خالد من زوجة مالك بن نويرة فقد ثبت انه اشتراها من الفىء وبعد انقضاء عدتها تزوجها .

يلتقى الجيشان فى الحيرة فأيهما وصل أولا كان أميرا على صاحبه . فمضى خالد سريعا فاتحا لكل ما قابله من قرى وتجمعات ووصل مبكرا الى الحيرة التى سلمت له ، بينما تعثر عياض فى دومة الجندل فاضطر خالد لانتظاره ـ كما قضت أوامر الخليفة ـ قرابة سنة سماها «سنة النساء» ، ثم استغاث به عياض فأجابه خالد على رأس مجموعة من جيشه وفك عنه حصار أهل الدومة ، ثم عاد ليواصل فتح العراق .

وبالجملة . . فقد خاض خالد بالعراق خمس عشرة وقعة لم يهزم فى واحدة قط [١] ، ابتداء بذات السلاسل وانتهاء بالفراض أعلى العراق ، وانتشى الخليفة كثيرا بانتصارات خالد فقال : «أعقمت النساء أن يلدن مثل خالد» .

وكان خالد يبعث برسائل انذار الى قواد الفرس قال فى احداها : «الحمد لله الذى فض ملككم وأذل عزكم ، فاذا اتاكم كتابى هذا فابعثوا إلىّ بالرهن واعتقدوا منى بالذمة وأجيبوا إلىّ الجزية ، وإلا فوالله الذى لا إله غيره لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا» .

ثم كانت آخر أعماله بالعراق ـ أثناء عودته إلى الحيرة قادما من الفراض ـ أن وضع على مقدمة الجيش من يثق به ، ثم انسل من

---

[١] هذا الحصر نقلا عن «عبقرية خالد» للعقاد .

المؤخرة وهوى من أعلى العراق الى ارض الحجاز حيث ادى فريض الحج ثم عاد دون علم احد حتى الخليفة نفسه الذى كان اميرا على الحج عامها ، اللهم الا من صاحبوه فى رحلته من بعض رجالات الجيش .

وفى الشام . . كانت جيوش المسلمين الأربع متعثرة فى مهامها أمام الرومان ، حيث طالت المناوشات من الجانبين دون الوصول الى شىء ، فقال أبوبكر : «لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد» ثم أرسل الى خالد : «سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شجوا وأشجوا [١] ، وإياك ان تعود لمثل ما فعلت [٢] فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجيك [٣] ، ولن ينزع الشجا من الناس نزعك [٤] ، فليهنك أبا سليمان النية والحظوة [٥] ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل ، وإياك أن تدل بعملك فإن الله له المن وهو ولى الجزاء» .

وعلى الفور جهز خالد نصف الجيش للتحرك صوب الشام ، وكانت أمامه أربعة طرق ، فتخير أقصرها وأسرعها ، إلا أن الادلاء حذروه بشدة من أخطارها ومهالكها فأصر على اجتيازها ، ولما رأى

---

[١] شجوا . شجى بالسهم يعنى أصابه السهم الشديد ، واشجوا : يقصد أشجونا نحن كذلك بسبب تعثرهم فى الشام .

[٢] يقصد ذهابه للحج دون اذن الخليفة

[٣] يقصد لن يستطيع احد ان يقهر الرومان مثلك .

[٤] لن ينزع السهم أحد مثلك

[٥] المنزلة .

شيئا من الرهبة فى نفوس جنوده خطب فيهم : «إن المعونة تأتى على قدر النية ، وان المسلم لا ينبغى أن يكتثر بشىء يقع فيه مع معونة الله له» ثم خاض طريقه بهم فى مدة وجيزة يتعجب لها المؤخرون .

وكان أول ما فعله خالد عند وصوله اليرموك حيث تتجمع جيوش المسلمين امام الرومان ـ ان وحد بينهم على ان يتناوب الأمراء القيادة يوما بعد يوم ، ومما قاله : «ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، فإن هذا اليوم له ما بعده ، لو رددناهم الى خندقهم فلا نزال نردهم ، وان هزمونا لا نفلح بعدها أبدا» ، وطلب خالد لنفسه امارة اليوم الأول ، ثم حسمت المعركة فى نفس اليوم لصالح المسلمين وقد كانت اليرموك من أعظم الانتصارات التى حققها المسلمون الأوائل ، حيث لم يتجاوز جيش المسلمين الأربعين الفا بينما ربت جموع الروم ـ المحتشدة خلف النهر ـ على المائتين والاربعين ألفا ، وقام خالد بتعبئة الجيش تعبئة لم تعرفها العرب من قبل ، حيث قسم الجيش الى كراديس كل كردوس من ألف رجل ، وألقى بهم فى جموع الروم فأعمل فيهم يومئذ قتلا كثيرا . وقد خرج اليه أحد القادة الرومان قبل المعركة فسأل خالدا : «بم سميت سيف الله ؟» فقال : «تابعناه[1] . . فقال انت سيف من سيوف الله ودعا لى بالنصر فسميت سيف الله ، فأنا من أشد المسلمين على

[1] يقصد النبى ﷺ

المشركين» ودار حوار طويل اسلم الرجل فى أعقابه وصلى ركعتين قاتل بعدهما فى صفوف المسلمين حتى استشهد . وافتقد خالد قلنسوته اثناء المعركة فاشغل بعض الجند فى طلبها حتى وجدوها ، فلما عابته البعض قال : «اعتمر النبى ﷺ فحلق رأسه فابتدر الناس الى شعره فسبقتهم الى ناحيته فجلعتها فى هذه القلنسوة ، فلم اشهد قتالا وهى معى الا تبين لى النصر» .

وتذكر الروايات ان رسولا أقبل من المدينة وأبلغ أبا عبيدة ـ الذى كان قائدا من القواد الأربعة بجيوش المسلمين فى الشام ـ بوفاة الصديق واستخلاف عمر الذى قرر عزل خالد عن امارة الجيوش وتولية أبى عبيدة ، فأخفى أبوعبيدة الأمر ريثما انتهت المعركة ثم اطلع عليه خالدا ، فقال خالد : «رحمك الله يا أبا عبيدة . . ما منعك أن تخبرنى حين جاءك الكتاب» . فقال أبو عبيدة : «انى كرهت ان اكسر عليك حربك وما سلطان الدنيا نريد ولا للدنيا نعمل وكلنا فى الله اخوة» ، وتحدث خالد فى الناس مادحا ابا عبيدة فقال : «بعث عليكم أمين هذه الأمة . سمعت رسول الله ﷺ يقوله [٢] » فقال أبوعبيدة : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : خالد سيف من سيوف الله . . نعم فتى العشيرة» .

وقال خالد وهو يعزى المسلمين فى أبى بكر : «الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت وكان احب الىّ من عمر ، والحمد لله

[١] اشارة من خالد الى قول النبى ﷺ : «لكل أمة امين ، وامين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح» رواه مسلم

الذى ولىّ عمر وكان أبغض إلىّ من أبى بكر ثم الزمنى حبه» .

*وقد أمر عمر أبا عبيدة فى رسالته باتخاذ خالد مستشارا له فى الحرب لانه لا غناء له عنه ، فصار كذلك ، وظل خالد يقود المعارك فى الشام تحت امرة ابى عبيدة ويحقق من الانتصارات ما أبهر الجميع حتى عمر نفسه الذى قال : «أمر خالد نفسه»[١]

ثم كان عزل خالد النهائى بعد اربع سنوات من اليرموك ، ففى عام سبعة عشر من الهجرة وبينما كان خالد اميرا على «قنسرين» احدى مدن الشام ، اغار هو وعياض بن غنم على الروم وغنما كثيرا ، وجاءه الناس يطلبون العطاء بينهم الاشعث بن قيس زعيم كندة ، فأجازه خالد بعشرة الاف ، فلما بلغ ذلك عمر غضب وارسل الى ابى عبيدة يأمره بأنه يصعد المنبر ويقيم خالدا بين يديه بعد نزع قلنسوته وتقييده بعمامته ، ثم يسأله عما أعطى للأشعث ، فإن كان من ماله فقد سرف وان كان من مال المسلمين فقد خان ، ثم ليعزله فى كلتا الحالتين عن امارة قنسرين ، وليشاطره نصف ماله وليرسله اليه بالمدينة .

وصعد أبوعبيدة المنبر وسأل خالد عن الواقعة ، ثم قام اليه بلال مؤذن الرسول ﷺ فنزع قلنسوته وقيده بعمامته . . كما أمر عمر ـ ثم سأله ثانية فرد خالد : «بل من مالى» فأطلقه بلال وعممه بيده ، ثم شاطره أبوعبيدة ماله فجعل يقسم كل شىء نصفين حتى أتى الى

[١] اى أن خالدا قد فرض نفسه كأنه الأمير لكثرة انجازاته

نعليه فقال : «إن هذا لا يصلح إلا بهذا !!» فرد خالد : «أجل . . ما أنا بالذى يعصى أمير المؤمنين فافعل ما بدالك» .

وخطب خالد فى الناس وأعلمهم بعزل عمر اياه ، فقام اليه رجل وقال : «صبرا أيها الأمير فإنها الفتنة» فقال : «أما وعمر حى . . . فلا» .

ثم قصد المدينة إلى عمر كما أراد ، ولما تقابلا قال له : «لقد شكوتك إلى المسلمين ، وبالله انك فى امرى غير مجمل[١] ياعمر» ، فسأله عمر : «من أين لك هذا اليسار الذى تجيز منه عشرة آلاف؟» فقال : «من الأنفال والسهمان [٢] . . ما زاد على الستين الفا فهو لك[٣] » وعدها عمر فزادته عشرين ألفا فضمها إلى بيت المال ، ثم قال عمر : «والله انك علىّ لكريم وانك الىّ لحبيب ، ولن يصل اليك من امر تكرهه بعد ذلك» ثم ارسل فى الأنصار : «انى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا عن خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا ان الله هو الصانع» .

***

[١] أى لم ترع المجاملة والمعاملة الحسنة

[٢] اى من أسهمى من الغنائم

[٣] أى لبيت مال المسلمين ، يقصد التبرع بما زاد عن ذلك لبيت المال



مشاهد هامة من حياته

وفى حياة خالد مشاهد متفرقات أردنا ذكر بعض منها قبل الانتهاء من سرد حياته ، منها ان كان اذا اشتد البأس بالجيش نكس رأسه الى الأرض ساعة ثم رفعها الى السماء ساعة ، ثم حمل بمن معه على العدو قائلا : «ما هو الا الجنة . . وما الى المدينة سبيل» فلا يزال كذلك حتى ينهزم المشركون .

ولم تخل حياته من الكرامات ، فقد روى ان رجلا مر عليه ومعه زق خمر فسأله «ما هذا ؟» فقال الرجل : «خل» فقال خالد : «اللهم اجعله خلا فصار خلا» ، وشرب السم ذات مرة بعد ان سمى الله فلم يضره بشىء .

وقد عشق خالد الجهاد الى حد شغله عن التفقه وتعلم القرآن ، وقد عبر بنفسه عن هذا بقوله : «لقد شغلنى الجهاد عن تعلم كثير من القرآن» .

ثم عاش خالد بعد عزله سنوات اربع قضاها فى حمص ، مات اثناءها نحو من اربيعن من ابنائه فى طاعون الشام ، ثم ادركه الموت هو الآخرعام إحدى وعشرين فقال وهو على فراش الموت : «لقد لقيت مائة زحف أو زهاءها ، وما فى جسدى شبر الا وفيه ضربة او طعنة أو رمية ، وها أنا اموت على فراشى كما يموت

البعير ، فلا نامت أعين الجبناء» وقال مقالته فى عمر : «قد كنت وجدت [١] عليه فى نفسى من أمور لما تدبرتها فى مرضى هذا وحضرنى من الله حاضر عرفت ان عمر كان يريد الله بكل ما فعل» ، ولما عاده ابوالدرداء قال له : «يا أبا الدرداء : لئن مات عمر لترين أمورا تنكرها» ، وقال كذلك عند موته : «ما ليلة يهدى الىّ فيها بعروس انا لها محب ، أو أبشر فيها بغلام ، أحب الىّ من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد» ، ولم يوجد فى بيته غير غلامه وفرسه وسلاحه ، أوقف الأخيرين فى سبيل الله ، وجعل انفاذ وصيته الى عمر بن الخطاب .

وانقرضت ذرية خالد من بعده فلم يعش منهم أحدا ، وورث دورهم بالمدينة أحد أبناء عمومتهم .

وروى ان عمر لما ظن انه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس بخالد عزم على توليته ثانية ، الا ان اجل خالد فاجأه ، فاسترجع عمر وقال : «كان والله سدادا لنحور العدو ميمون النقيبة [٢] » فقال له علىّ : «فلم عزلته ؟» فقال : «لبذله المال لذوى الشرف واللسان» وفى رواية قال لعلىّ «ندمت على ما كان منى» وقال عمر فيه : «رحم الله أبا سليمان ، لقد كنا نظن به امورا ما كانت» وقال كذلك : «رحم الله ابا سليمان . . ما عند الله خير له مما كان فيه ،

[١] اى حزنت منه
[٢] اى ذو رأى راجح

ولقد مات سعيدا وعاش حميدا ، ولكن الدهر ليس بفائل» وروى ان عمر قال فى أخريات حياته : «لو أدركت ابا عبيدة بن الجراح ثم وليته ثم قدمت الى ربى فقال لى : لم استخلفته ؟ لقلت : سمعت عبدك وخليلك يقول : لكل أمة امين وأمين هذه الامة ابوعبيدة بن الجراح ، ولو أدركت خالدا ثم وليته ثم قدمت الى ربى فقال لى : «من استخلفت على امة محمد ؟ لقلت : سمعت عبدك وخليلك يقول : لخالد سيف من سيوف الله سلة الله على المشركين» .



العبـــر والعظــات

١ ـ من الناس من يقف من الاسلام موقف الخصومة الجامحة ، ويصير له عدوا لدودا لا يرجى منه سلام ولا أمان ، ثم ما يلبث ذلك كله ان يستميل حبا ووئاما فى يوم من الأيام ، وخالد بن الوليد كان واحدا من هؤلاء .

فقد نابذ الإسلام العداء قرابة احدى وعشرين عاما كبد المسلمين خلالها خسائر فادحة ، ثم إذا به واقفا أمام النبى ﷺ يبايعه على الإسلام .

ومن هنا . . كان سمت الدعاة الصادقين ـ فى كل زمان ومكان ـ ألا يعتريهم اليأس من هداية حتى من اصلى الإسلام من نار حربه ولظى عداوته .

ولقد رأينا النبى ﷺ لم ينقطع امله فى اسلام خالد رغم طيلة سنوات كفره ، فكان يسأل أخاه الوليد : «أين خالد ؟» ويرمى الينا بنظرته الثاقبة الى معادن الرجال : «ما مثل خالد يجهل الاسلام» ، ثم يشير اشارة اكثر وضوحا وتحديدا يوم اسلام خالد : «قد كنت أرى ان لك عقلا رجوت الا يسلمك الا الى خير» .

أن أحدا من الدعاة ـ مهما كان شأنه ـ ليس له أن يحكم بأبدية الا نحراف عند أحد مهما اشتد طغيانه ، بل الداعية الصادق من

اتسع صدره لاساءة عدوه ، وأفسح له مكانا فى الصف بجانبه مترقبا يوم اوبته الى الاسلام «عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير والله غفور رحيم»[١] فالله قدير لا يصعب عليه احياء الموتى ولا هداية الضالين ، وهو غفور رحيم لكل من آب وأناب واستغفر ، و«القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف شاء[٢] » .

وحسبنا فى ذلك قول النبى ﷺ «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها[٣] » .

٢ ـ ولقد كانت بيعة خالد صورة حية وصادقة لكل من أراد أن يضع القدم الأولى على درب المؤمنين .

فلم يكن للشعور بالتمايز او المنة نصيب لدى خالد فى تلك الساعة ، وهو من أشراف قريش وأبوه أحد أقطابها واسلامه فتح جديد للاسلام لا ريب ، بل كان همه الأول رضوان الله وغفران ما بدر منه فى حق الاسلام ، كان انكار الذات واستكثار الذنوب وتوجه القلب لله الواحد هو نقطة البداية لدى خالد ، والتى انطلقت منها حياة جهادية طويلة كان الاخلاص سمتا بارزا فيها كما سنعرض فيما بعد .

---

[١] الممتحنة ـ ٧
[٢] جزء من حديث رواه الامام أحمد والترمذى
[٣] جزء من حديث متفق عليه

قال للرسول ﷺ : استغفر لى كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله ، ورغم طمأنة النبى ﷺ له : «ان الاسلام يجب ما قبله» فلم يقنع الا حينما دعا له النبى ﷺ بالمغفرة .

ان ضبط البدايات وإحسان التوجه إلى الله عند مبدأ الطريق هو أصل الأصول عند الدعاة، وانحراف التوجه حينئذ هلاك لصاحبه لا ريب، فإنه يزداد كلما أوغل المرء فى طريقه، وذلك ما عبر عنه بعض الصالحين بقوله : «انما تتولد الدعاوى من فساد الابتداء فمن صحت بدايته صحت نهايته، ومن فسدت بدايته فربما هلك[١]» .

وهذه هى الترجمة الحركية لحديث النية الذى عده العلماء شطر الاسلام كله : «انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه [٢] » . وكل مهاجر اليوم الى طريق الله عليه أن يخلص نيته ويصحح بدايته ، وإلا فسدت توبته وضلت هجرته .

٣ ـ ولكن معسول القول لا يكفى لكون المرء من صفوة

---

[١] الرقائق ـ للأستاذ الراشد

[٢] متفق عليه

المؤمنين وحملة لواء الدعوة ، فما كانت الكلمات البراقة عند اسلام خالد كافية للتدليل على صدق اخلاصه واعتباره واحدا من رسل رسول الله ﷺ الى البشرية .

ومن هنا كان الاختبار الأول لخالد أن خرج من مؤتة جنديا بين الصفوف لا أميرا ولا قائدا ، وهو من أشراف العرب وله خبرة لا يستهان بها فى فنون القتال ، بينما امر على الجيش ثلاثة اخرون على رأسهم زيد بن حارثة الذى كان من الموالى والعبيد . وربما قيل ان انضباط خالد كان خليقا أن يكون منطويا على رغبات دفينة فى نفسه ، ولكن الأقدار تجتمع لتكشف عن معدنه النفيس بجلاء ووضوح ، فتساق اليه الامارة سوقا من غير ترتيب بشرى ، ويدفع اليه اللواء فيرده قائلا لابن أقرم : «أنت أحق به منى ، لك سن وقد شهدت بدرا» .

لقد تبدلت موازينه ، فغدا مستصغرا شأن نفسه بمكانته فى قومه وكفاءته القتالية العالية ، بينما استعظم شأن غيره ممن لديه رصيد ايمانى سابق . كما كان من شهد بدرا .

ان المنهج الاسلامى يعتمد الاسلوب العملى والمحك الواقعى لا بريق الكلام : «ليس الايمان بالتمنى ، ولكن بما وقر فى القلب وصدقه العمل»[١] . واختيار رجالات الصف وفق هذا المنهاج خير ضمان لتكوين صف قوى ينهض بأعباء الدعوة وتكاليف الجهاد .

---

[١] قول الحسن البصرى (كما ورد فى دعاة لا قضاة)

«ان على الدعاة أن يجفلوا ويخافوا ويحذروا ممن يكون عليم اللسان الذى يكثر التشدق . ويتكلف اختيار الفصيح ، فإن النفاق والضعف يكثر فى هذا الصنف ، ويجب الا يطمئن الداعية الى أحد بهذه الصفة الا بعد ان يضمر فى نفسه امتحانه فيراقبه مراقبة دقيقة مدة ، ويكون توثيقه له من بعد تجربته ، ومن بعد رؤية قرائن ايمانه وصدقه»[١] .

٤ ـ ولا نستطيع أن نبرح أحداث مؤتة دون تأمل فيما قام به خالد من انسحاب بالجيش بعد خداع الرومان ، وهو ما أقره النبى ﷺ رغم استنكار بعض من بالمدينة بقولهم : «يا فرار . . فررتم فى سبيل الله» فقال ﷺ مبينا حقيقة الموقف : «ليسوا بالفرار . . . بل هم الكرار إن شاء الله عز وجل» .

والسمة التى ينبغى الاشارة اليها ها هنا هى التوازن فى حركة الداعية ، فخالد رضى الله عنه معروف بجرأته واقدامه لكن ذلك لم يمنعه التفكير فى الانسحاب والانسحاب بالفعل أمام طغيان عدد الرومان بصورة تهدد بإبادة جيش المسلمين عن آخره . وقد أشار القرآن الى ذلك المفهوم فى قوله «ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال [٢] أو متحيزا الى فئة [٣] فقد باء بغضب من الله ومأواه

---

[١] المنطلق ـ للاستاذ الراشد

[٢] متحرفا لقتال : يقوم بخدعة ما

[٣] متحيزا الى فئة : ينحاز الى من يعاونه من المسلمين وغيره بالمدد

جهنم وبئس المصير [١] » .

والتوازن سمة لا ينبغى اغفالها فى أية مرحلة من مراحل العمل الاسلامى ، فالايمان بالله والثقة فيه لا يسقط النظرة الواقعية والا صار الأمر ضربا من العبث وانتحارا حتميا ، كما انه لا ينبغى طغيان ذلك على الاصل الايمانى فتنحصر عقائدية الحركة ، وتمسى أقرب الى الحزب السياسى منه الى الجماعة الربانية» .

وما أروع تعبير الامام البنا عن ذلك المعنى بقوله فى رسالة المؤتمر الخامس : «الجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأثيروا أشعة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة ، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالملعقة ، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها ، واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد» .

وتلك آفة من الآفات التى اصابت بعض العاملين للاسلام اليوم ، فبين الحين والحين تنبرى الى الساحة تجمعات غريبة لا تدعو الا الى فورية اشهار سلاح القوة بوجه النظم القائمة ، دونما اعتبار لأدنى حساب عقلى او تقيد بمراحل الجهاد وضوابطه ، بل ويرمون غيرهم ممن يؤثرون الحيطة قبل الاقدام والتخطيط قبل

---

[١] الأنفال ١٦ .

التنفيذ بالجبن والتقاعس ، تماما كأولئك الذين رموا خالدا وجيشه بالفرار والتولى ، ثم لا ينتهى كل ذلك الى شىء اللهم الا بعض الفرقعات الهوائية التى كثيرا ما أضرت العمل الاسلامى . وأحرى بأولئك ان يراجعوا قواعد الشريعة ونصوص الفقهاء فى هذا المضمار ، بعد تجردهم من ضغوط الحماس الزائد والاستعجال الممقوت .

٥ ـ وقد كان توالى المهام القيادية على خالد بديهيا بعد مؤتة اذ آن لتلك الطاقات أن تنفجر ولتلك المواهب أن تتنامى وتستثمر ، لا سيما بعد تأكد تجرد صاحبها من الغنائم الدنيوية .

ومن هنا ـ كان ارسال خالد على رؤوس السرايا كما كان فى بنى خزيمة وهدم القرى ، أو كان تأميره على أحد أجنحة الجيش كما كان فى فتح مكة وحنين ، وكان انسياح خالد فى الجزيرة العربية شرقا وغربا بتوجيه من النبى ﷺ وتحت سمعه وبصره . وقد تبدو هذه المهام المتوالية مجرد استثمار لتلك الموهبة واستفادة من تلك الطاقة المنضمة مؤخرا الى الجبهة الاسلامية ، إلا ان الفهم الصحيح للاسلام يبرز لنا حقيقة أخرى اضافة الى ذلك ، فيرى ذلك كله ما هو الا صياغة لشخصية خالد واعداد له من خلال حركة واقعية مكثفة .

لقد جانب الصواب كثيرا من ظن ان التربية إنما تتم فى حجرات مغلقة ، وحصرها فى الحلقات الدراسية ومجالس العلم ، فتلك

صورة لتربية عقيمة لا تفرز الا شخصيات نظرية بعيدة عن الواقع والممارسة ، فالتربية الصحيحة لا تستكمل الا من خلال حركة جهادية دائبة ، مثل تلك التى حرص النبى ﷺ على توفيرها لصحابته كما يتضح من صفحات السيرة ، اذ من خلالها تترسخ جوانب الشخصية المسلمة رسوخا لا يتأتى بغير ذاك المناخ ، وحقيقة الايمان لا يتم تمامها فى المؤمن حتى يتعرض لمجاهدته للناس ، وتنفتح له فى الايمان آفاق لم تكن لتنفتح ابدا وهو قاعد آمن ساكن ، وتتبين له حقائق فى الناس وفى الحياة لم تكن لتتبين له ابدا بغير هذه الوسيلة ، ويبلغ هو بنفسه وبمشاعره وتصوراته وبعاداته وطباعه وانفعالاته واستجاباته ما لم يكن ليبلغه ابدا بدون هذه التجربة الشاقة العسيرة ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض »[١] .[٢]

٦ ـ لكن اطلاق الطاقات لا بد معها من التصويب والتوجيه الدائمين ، خشية الخروج عن أطر الشريعة وأهدافها تحت ضغط الطاقات المتفجرة ، لا سيما اذا كان صاحبها حديث عهد بالاسلام .

ومن هنا كثرت مراجعات النبى ﷺ لخالد فى مواقف شتى . . فقد رأينا مراجعته له لما تورط فى قتال نفر من أهل مكة يوم الفتح ،

---

[١] البقرة ٢٥١

[٢] هذا الدين ـ سيد قطب

كذلك عتابه له عند قتل المرأة فى حنين ، ثم نهيه اياه عن قتل الرجل المتضجر من قسمة الغنائم ، وتحجيمه للنشوة القتالية الزائدة لدى خالد بقوله : «انى لم أومر ان انقب عن قلوب الناس» .

أما الخطأ الفادح فى بنى خزيمة فقد تطلب نوعا من التقريع والتعنيف يناسبه ، ولا أظن ان كلمات كانت أثقل على خالد من دعاء النبى ﷺ ثلاثا : «اللهم انى ابرأ اليك مما فعل خالد بن الوليد» .

ثم يبلغ التعنيف مداه عند احتداد خالد على ابن عوف وهو من قدامى أجلاء الصحابة بل ومن العشرة المبشرين بالجنة ، فكان لا بد من تحطيم أى تغير نفسى قد يصيب خالدا تجاه اخوانه تأثرا بالمهام القيادية المتوالية مهلا يا خالد . . دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك مثل احد ذهبا ما أدركت غدوة رجل من اصحابى ولا روحته» .

وتجتمع كل تلك المشاهد لترسخ مبدأ المراجعة والمحاسبة المستمرة كقاعدة من قواعد العمل الاسلامى وأصل من أصول التربية ، وعن طريقها تروض الشخصية وتربى على توجيه طاقاتها حسبما تملى الشريعة لا حسبما تملى الأهواء والإنفعالات ، فضلا عن كونها ضرورة ملحة لانضباط الجماعة وتوحيد الحركة .

والقيادة الناضجة ينبغى ان تجهد نفسها فى ذلك كله ، وان

تترقب الاخطاء لتصحيحها والعيوب لعلاجها ، وذلك من منطلق الواجب الشرعى الذى اشار اليه النبى ﷺ بقوله : «ما من ولىّ يلى أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح الا لم يدخل معهم الجنة»[١] .

- ٧ - إلا أن المراجعة والمحاسبة - وإن غلظت - لا تعدو أن تكون مجرد وسيلة للتقويم والتربية، صادرة عن مشاعر الحب والرغبة فى الاصلاح لا عن مشاعر الضجر وضيق الصدر . ولذلك فقد عمد النبى ﷺ الى استئناف فورى للخط التكليفى والتربوى مع خالد، مخافة أن يصيبه حادث بنى خزيمة بالإحباط أو الإحجام، كطائر صغير أحجم عن الطيران لعثرة تعثرها وهو فى طور التعلم، فبعد بنّى خزيمة بأيام قلائل جعله النبى ﷺ على مقدمة الخيل يوم حنين، ثم توالت المهام تلو المهام حتى أنه أرسله فى مهمة شبيهة الى بنى المصطلق حينما شاعت أنباء عن ردتهم، وأوصاه ﷺ بالتروى وألا يقاتل حتى يتبين، فكان التوفيق حليفه هذه المرة، وعاد دون قتال بعد سماع الآذان وتأكد من اسلام القوم .

إن بعض الدعاة لا تتسع صدورهم لزلات تلامذتهم، لأنهم يريدون ثمارا سريعة النضج دون صبر على مشاق التربية، ولذلك غالبا ما يتسرعون فى الحكم على التلميذ بالاخفاق والرسوب عند الخطأ الأول، وينصرفون باهتمامهم الى غيره الذى ما يلبث أن يخطىء هو الآخر فيتكرر ما حدث وهكذا . . يرسب لديهم غالب

[١] رواه مسلم

التلاميذ ويتقلص انتاجهم أو ينعدم، لأنهم أرادوا تربية بلا عثرات وتلميذا بلا أخطاء وذلك ما لم يحدث ولن يحدث أبدا .

ولكم غض النبي «ﷺ» طرفه عن عثرات أصحابه، وأشار القرآن الى ذلك بقوله تعالى «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم [١]» وخط لنا ﷺ الخط العريض في منهج التعامل مع الأخطاء فقال «ﷺ» «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون[٢]» .

إننا بحاجة الى أن نحسن التعامل مع الأخطاء والزلات، ونتعلم كيف نحتويها بصدورنا ثم نستعد لها بالطريقة الملائمة، بعتاب رقيق، أو بتقريع شديد حسبما يتطلب الموقف، إلا اليأس من الاصلاح فإنه مبدأ مرفوض مادام يدور المخطىء معنا في فلك الصف، ولازال يسلم قياده لله ولرسوله والمؤمنين» .

٨ ـ وثمة قاعدة أخرى من قواعد التربية الإسلامية تبرز إلينا ونحن نتفقد الرحلة التربوية للنبي «ﷺ» مع خالد والتي قاربت الثلاث سنوات . فالمتفقد يلحظ أنه «ﷺ» لم يدفع خالدا إلا في مهام متواضعة ولم يفسح له المجال لصنع أعمال بطولية متميزة والقيام بإنجازات كبرى مثل تلك التي حققها في خلافة الصديق، رغم ثبوت قدرته على ذلك بعدما حدث بمؤتة، والإشارة هنا الى ضرورة

---

[١] آل عمران ـ الآية (١٥٩)

[٢] رواه الترمذي وابن ماجه «جامع العلوم والحكم»

التدرج فى التكليف واطلاق الطاقات رويدا، وذلك لضمان سير الخط التربوى الى جانب التكليف، فالنبى «ﷺ» لم يكن ينجز مهاما عسكرية فحسب، إنما كان همه كذلك أن يصنع رجلا له دور مرتقب، ويربى شخصية لها دورها الفعال فيما بعد .

ومن هنا كان لابد من تأن فى التكليف يتناسب مع تأنى العملية التربوية . كان لابد على سبيل المثال من الوقوف عند حادث بنى خزيمة لتصويب المفاهيم، ثم الدفع بروية وترقب لمدى استيعاب خالد للدرس، ولو تم افساح المجال أمام طاقات خالد الفياضة عقب الحادث لما توفرت الفرصة لترسيخ الدرس وتصويب المفاهيم عمليا، فضلا عن احتمال تكرر المأساة على نحو أبشع مما كان، وقس على ذلك توجيهاته «ﷺ» المتعددة لخالد فى مواقف شتى .

٩ ـ وقبل تجاوز المرحلة الأولى لإسلام خالد والولوج فى عهد خلافة أبى بكر، نود تصحيح ما اختلط عند البعض ممن أقحموا أنفسهم فى تحليل التاريخ الإسلامى دون الإرتكاز على فهم صحيح وناضج للمنهج الاسلامى .

فالمقارن بين خالد فى جاهليته وبين خالد بعد اجتياز المرحلة الأولى لإسلامه أى بعد وفاة النبى «ﷺ» يلحظ دون عناء تفاوتا هائلا بين المستويين، ودعنا نحصر المقارنة فى الجانب العسكرى فشتان بين ما حققه خالد فى جاهليته من انجازات هزيلة لا تكاد تذكر،

وبين ما قام به فى خلافة الصديق من انجازات فاقت كل حد، وصارت مضرب الأمثال حتى يومنا هذا، وذلك يسوقنا الى حقيقة لا مراء فيها، فالإسلام، والاسلام فقط هو الذى صنع خالدا، كما صنع أبا بكر وعمر وعمالقة الصحابة الأفذاذ ولكن البعض يحلو لهم الإدعاء بأن الأصحاب عظماء فى الأصل، ولم يزد الاسلام على أن جمعهم فى نسق واحد، وألف منهم أقوى أمة فى تاريخ البشرية، وذاك خطأ فادح ومغالطة صريحة بقصد أو غير قصد.

فما كان الأصحاب رضى الله عنهم بطاقاتهم وقدراتهم فى الجاهلية ليبلغوا عشر معشار ما بلغوه بالإسلام، لولا أن مَنَّ الله عليهم بدينه ونبيه «ﷺ» الذى أخرجهم من الظلمات الى النور وأحياهم بعد موات، يشير إلى ذلك قوله تعالى «هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين[١]».

والإسلام وحده ـ كذلك ـ هو الوحيد الذى يستطيع أن يصنع جيلا من نفس الطراز ليعود بالأمة إلى ما كانت عليه، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

١٠ ـ وبعد وفاة النبى «ﷺ» .. يتسلم أبو بكر زمام القيادة .. وزمام التربية كذلك، فيدفع بخالد قدما إلى المهام القيادية الكبرى، وذلك بأن سلمه أكبر لواء فى الألوية الإحدى عشر

[١] سورة الجمعة الآية (٢)

الخارجة لردع المرتدين، وقوامه أربعة آلاف جندى، كما كلفه بأعسر مهمة فى حروب الردة، لقاء طليحة ومسيلمة الكذاب أقوى تجمعات المرتدين وأخطرها .

وذلك كله يعود بلا شك إلى قيادة أبى بكر الواعية، وإلمامه بقدرات رجاله ومواهبهم، لكنه فى الوقت ذاته يعد استئنافا طبيعيا لمرحلة جديدة من مراحل التربية مع خالد بن الوليد .

فخالد رجل ذو طاقات هائلة فى ميدان الحرب، وما كانت المهام التى كلف بها فى عهد النبى «ﷺ» لتستوعب طاقاته كلها . لكنه فى الوقت ذاته كان لابد من دفعه برفق وروية - كما أسلفنا - دونما تورط معه فى مهام تكبر قسطه التربوى نتيجة حداثة عهده بالإسلام .

أما وقد مرت ثلاث سنوات على إسلامه، وتحددت لديه ملامح الشخصية الإسلامية، واستقرت فى نفسه المفاهيم الأولى للإسلام، فلا حرج إذن من دفعه فى مهام أكبر، وتأميره على قطاع أوسع من قطاعات الصف، بل الخطأ كل الخطأ - فى تعطيل تلك الطاقات المتنامية، وكبت تلك المواهب المتصاعدة، فى غير إفراط أو تفريط لأن ذلك سيحول دون استثمارها فى صالح الحركة، كما يغلق أمامها الممر الطبيعى لتدفقها، مما قد يدفعها لفتح ممر آخر لا ينسق وعمل الجماعة الموحدة - ويضر ذلك العمل - بلا شك - دون قصد من صاحبها، «فأمر الطاقة المحبوسة المعطلة كالفيضان أو

السيل تماما ـ فإنه يكون خيرا لمن عرف شق الجداول للاستفادة منه، وضررا لمن أهمل ذلك كله فكل جيل فيه سيل كهذا وبأيدينا أن نستفيد منه أو نهمله فيعود بالضرر على أمته، وقديما قال أهل المثل «العسكر الذى تسوده البطالة يجيد المشاغبات[١]» .

١١ ـ ولكن العمل التنفيذى له معضلات واشكالات، يحتاج إستيعابها إلى أفق بعيد ودراية واسعة، وقد برزت أولى المعضلات أمام خالد متمثلة فى احتجاج الأنصار على المسير الى بنى تميم بدعوى عدم صدور أوامر من الخليفة بهذا الشأن، وإنما تلتبس الرؤى فى مثل تلك المواقف بسبب اختلاط الفروع بالأصول وتداخل الأولويات، ولهذا فقد سارع خالد ـ بما لديه من رصيد قيادى أورثته اياه التربية النبوية ـ سارع إلى إبراز الأصول وتحديد الأولويات، وحسم الأمر بقوله : «إن يكن عهد إليكم هذا فقد عهد إلى أن أمضى، وأنا الأمير وإلى أن تنتهى الأخبار» لكن التوفيق لم يحالف خالدا فى احتواء المعضلة الثانية مثلما احتوى الأولى، فقد غضب أبو قتادة ـ أثر مقتل ابن نويرة ـ غضبه أخرجته عن أطر التنظيم، وأخلت بأصول العمل الجماعى، فأقسم ألا يجمعه بخالد لواء بعد اليوم، ونقل عائدا الى أبى بكر تاركا وراءه الجيش والأمير على السواء .

إلا أن أبا بكر ـ الثمرة الأولى لرسول اللهَ «ﷺ» ـ لا تهتز عنده

---

[١] العوائق أ. الراشد .

الأصول ولا تتداخل لديه الأولويات مهما عصفت الأحداث، فقد بادر رضى الله عنه ـ أولا وقبل كل شىء ـ إلى تثبيت أصول الجماعة ورفض كل بادرة لشق عصا الطاعة أيا كانت الدواعى والأسباب، فإذا به يعرض عن مقابلة أبى قتادة من حيث المبدأ، ثم لم يزد على أن قال له : «ارجع إلى خالد» وذلك قبل أن ينظر فى معالجة حادث عارض أو يشرع فى استدعاء خالد للتحقيق والمحاسبة .

إن التدرج التنظيمى أصل لا غناء عنه فى العمل الجماعى، وليس بدعة مستحدثة أو ترفا فكريا كما يتوهم بعض المخلصين، وقد أرسى رسول الله «ﷺ» قواعده غير مرة، ومن ذلك ما روى عنه «ﷺ» : «من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصا الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعصى الأمير فقد عصانى»[١] .

والصف الناضج يربى أفراده دائما على تقديس مبدأ الطاعة وإحترام التدرج التنظيمى فضلا عن تربيتهم على الإتزان وضبط النفس أمام عنفوان الأحداث وإلا اختلت الحركة دائما ساعات الزلزلة وصارت نهبا لردات الفعل والأحداث العارضة .

١٢ ـ وبإنقضاء الردة . . لم ينقض جهاد خالد ولم ينقض جيشه، بل عرج بهم صوب العراق كما قضت أوامر الخليفة، ثم غرب بهم ناحية الشام بعد ما كاد يفرغ من فتح العراق، هكذا دون الرجوع الى وطنه لينال قسطه من الراحة، لم ير خالد وطنه منذ خرج لردع

---

[١] متفق عليه

المرتدين حتى عزل عن قنسرين، أى بعد ست سنوات من الجهاد فى الصحراء، اللهم إلا ما كان من استدعاء أبى بكر اياه عقب حادث بنى تميم، وكذلك ذهابه للحج سرا دون علم أحد، وكلاهما رحلة عابرة ليس فيها راحة أو استقرار . «إن الداعية المسلم لا يملك نفسه حتى يسوغ له أن يمنح نفسه اجازة، وإنما هو كما شبهه بعض الأفاضل : «وقف لله تعالى»[١] ، بل إنه يتململ من طول الراحة إذا فرضت عليه ويتوق لمتاعب الجهاد واغبرار القدم فى سبيل الله، كما تململ خالد من طول انتظار عياض سنة كاملة فسماها «سنة النساء» .

إن الداعية الصادق قد ألقى الدنيا خلف ظهره ولم ينل منها إلا الضرورى «بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»[٢] «من أصبح منكم معافى فى جسمه آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[٣] .

والداعية الصادق هو الذى تطلع الى الآخرة وسخر من أجلها ما أوتى وهفا بحواسه كلها الى الشهادة، وبذلك كان وصف خالد لجنوده وصفا صادقا لا مبالغة فيه ولا تهويل «وإلا فوالذى نفسى بيده لأسيرن إليكم بأقوام يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويحرصون على الآخرة كما تحرصون أنتم على الدنيا» .

---

[١] الرقائق ـ محمد أحمد الراشد

[٢] جزء من حديث حسن رواه أحمد وابن ماجه والحاكم «منهاج المسلم» .

[٣] أخرجه الترمذى «الاحياء»

وذلك هو الحد الفاصل بين الداعية الحق، وغيره، فكثير ممن يعتبرون أنفسهم مدرجين فى قوائم الدعاة لم تزل الدنيا تمثل عند أحدهم مقاما أساسيا، تجده مسرفا فى الكماليات مائلا للراحة والدعة لا فرق بينه وبين المجتمع اللاهى من حوله، فاذا سار فى درب الجهاد يسير سيرا رتيبا، حاملا نصيبه الوفير من الدنيا فيثقله عن الانطلاق، «يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟»[1] .

انه لا يصح فى حقنا كدعاة أن نعيب على جمهور الأمة انشغالهم بزينة الدنيا عن واجب الجهاد المقدس فى الوقت الذى فزنا بنصيب لا بأس به من تلك الآفة الموهنة، وكما لا يصح أن نستبطىء مجىء النصر فى الوقت الذى لا تزال الدنيا تزن عندنا كثيرا من أحمال الإبل لا من أجنحة البعوض[2] .

١٣ ـ نعم .. قد يكون ذلك حال بعض الدعاة ما لم ينطلق جهادهم من الأصل الايمانى وتستمد طاقاتهم من دوام الاتصال بالله .

فمحاريب العبادة هى الواحة التى يستريح فيها المجاهد من عناء الجهاد، ومن هنا نجد النبى «ﷺ» يأمر بلالا ـ قاصدا الصلاة ـ «أرحنا بها يابلال» ولا نلمح أحدا من الأصحاب رضى الله عنهم لم

---

[١] التوبة ـ ٣٨

[٢] تعبير مقتبس من حديث «الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة»

يكن له نصيب وفير من تلك الراحة فى برنامجه اليومى .

ومن خلال هذا التصور نستطيع أن ندرك ـ بداهة ـ لماذا انحدر خالد من معسكره بالعراق الى الاراضى المقدسة ليؤدى فريضة الحج ، تاركا وراءه مسئوليات جمة القاها ـ مؤقتا ـ على عاتق غيره ، ناسيا من فرط شغفه ـ أن ذلك يستدعى فى المقام الأول إذن الخليفة، أو حتى إعلامه على أقل تقدير .

ويذهب المحللون الأرضيون مذهبا بعيدا ـ كالعادة ـ كل البعد عن جوهر الحادث، فيراه بعضهم غرورا، ويراه آخرون إفراطا فى الثقة بالنفس، أما المدافعون فيرونه تخطيطا صائبا من خالد فلعله أراد اختبار قدرة الجيش فى غيابه، وتمرين من وراءه على قيادة الجيش كله، اما نحن فنعذر هؤلاء وهؤلاء، فهم ـ بنظراتهم الأرضية الضيقة ـ لا يستطيعون إدراك تلك الآفاق الشاسعة الرهيبة فى حياة الأصحاب رضوان الله عليهم .

إلا أنه قد يعيبنا ـ نحن دعاة اليوم ـ إنشغال كثير منا بواجبات الجهاد اليومى عن حياة المحراب ـ وانصرافنا الى الفرع عن الأصل، وتئن ظهورنا من ثقل التكاليف الدعوية بينما لا تهفوا نفوسنا الى ساحات العبادة نستريح فيها من عناء تلك التكاليف، وذلك مما لا تحمد عقباه إن لم تتداركنا عناية الله .

١٤ ـ وبينما خالد فى أوج انتصاراته وأمجاده معا . . إذ تأتيه الأوامر صريحة حازمة بالسير شطر الشام لإعانة المسلمين

المرابطين هناك، واذا بخالد يحزم أمره ويعد جنده، وينطلق بهم خائضا ـ فى مدة وجيزة ـ أقصر الطرق وأخطرها بالرغم من تحذيرات الأدلاء . . وقد كان ينتظر ممن فى مثل موقف خالد أن يتباطأ عن تنفيذ أمر أوقفه عن صنع مزيد من الانتصارات والأمجاد، ولا اظن أن خالدا كان زاهدا فى طموحاته عن بلوغ المدائن عاصمة الفرس فى القريب العاجل، واخضاع الامبراطورية كلها لسلطان الاسلام، لا سيما بعدما رأى من انبساط الارض الفارسية تحت أقدام جيشه منذ وطئتها، ولم تقابله عليها عوائق تذكر، ثم ان الأمر قد جاء بالمسير صوب معركة لم تعرف مراميها بعد، ولإغاثة جيوش متعثرة، ولمواجهة امبراطورية هى أقوى وأعتى من الأولى كما يذكر المؤرخون، قد كان جديرا بمن فى مثل موقف خالد أن يراجع الخليفة ليعدل عن قراره، أو أن يسعى لتسجيل انتصار أخير قبل مغادرة العراق، أو يتلكأ ـ على أقل تقدير ـ فى تنفيذ الأمر، لولا الاخلاص والتجرد الذى ربى عليه، فنفذ الأمر كأحسن ما يكون، وخاض بجيشه تلك الطريق القصيرة المهلكة فى مدة يتعجب المحللون من قصرها حتى يومنا هذا .

«إن الله كتب الإحسان على كل شىء»[١] قاعدة أرساها النبى صلى الله عليه وسلم لتكون سمة فى كل سلوكيات الإنسان المسلم، وهى أحرى أن تكون سمة لسلوك الجندى داخل الصف وإتقانه لما يوكل إليه من سهام وما يلقى عليه من تكاليف .

---

[١] جزء من حديث ـ رواه مسلم

«وإنما أداء الواجب أن تؤديه فى المنشط والمكره، وتصدع به فيما تحب وتبغض، وأن تتلقاه عزيمة لا رخصة فيها، وجزما لا تردد فيه، وجدا لا هوادة لديه، حتى لا يكون للرأى فيه تردد ولا للهوى فيه خيار .. ذلكم قياس الصدق فى الآحاد وميزان الإخلاص فى الجماعات»[١] .

١٥ ـ وليس فى الصف الاسلامى أحد فى غير حاجة الى رعاية وتربية مهما سما وارتفع، وينطبق هذا على خالد رغم ما صار اليه شأنه، بل انه كلما أوغل المرء فى طريق الجهاد، وتحمل مزيدا من الأعباء، وسطع نجمه فى سماء المجاهدين، كلما تكاثرت من حوله وساوس الشيطان، وتكالبت عليه دواعى الانحراف، وازدادت حاجته الى الرعاية والتربية .

ولم يغفل أبو بكر ذلك .. فأحاط خالدا برعاية خاصة، ولم يكن ليدع أخطاءه تمر دون وقفة للتصويب، تفاوتت حدتها من استدعاء ومحاسبة كما فى مقتل مالك، الى تعنيف خطابى كما فى زواج إبنة فجاعة، الى مجرد عتاب رقيق فى خطاب التوجه الى الشام على ذهابه للحج دون علم أحد .

ولم يغفل أبو بكر كذلك تنمية مشاعر التجرد وتقوية أساس الاخلاص لدى خالد، ليتحمل ثقل التكاليف المتزايدة، وكم وقفت أتأمل روعة خطاب أبى بكر لخالد، يأمره بالتوجه الى الشام، وذاك

---

[١] لعبد الوهاب عزام «العوائق»

الربط المحكم بين التكليف والتذكير، بين المدح والتحذير «سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك، فانهم قد شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت، فإنه لم يشج الجموع من الجيش بعون الله شجيك، ولن ينزع الشجا من الناس نزعك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعملك، فإن الله له المن وهو ولى الجزاء» ولا يفقه الأرضيون ما حواه خطاب أبى بكر، ولا يدركون ما النية والاخلاص وما العجب والمن فى الواقع الحركى للجماعات، فتلك معان يحسبونها مضيعة للوقت وهيام فى بحار الأوهام، وشعوذة لا تقدم فى الأمر شيئا ولا تؤخر، ولكن يراها المؤمنون سر قوتهم ومحور جهادهم، يتوقف عليها سير المعارك، ويرتبط بها أمر النصر أولا وأخيرا.

١٦ - وللاخلاص مواطن ابتلاء يختبر فيها صدق صاحبه، فإما أن تثبته النية الصالحة، وإما أن يفتضح زيغه وتستره فيحطم المبادىء ويتجاوز الحدود بدافع الهوى الطامس على قلبه ومشاعره. «أحسب الناس يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»[١].

ولقد خاض خالد مثل تلك المواطن مرارا فثبت فيها، وظل متشبثا بالاسلام والجماعة والطاعة، لكن ما فات من ابتلاءات لم تكن لتبلغ فى شدتها ابتلاء لاقاه عند عزله عن إمرة الجيوش وتأمير أبى عبيدة، اذ لم تنقض ساعة على اعظم انتصار سجل فى حياته

---

[١] العنكبوت ٢، ٣

على الإطلاق، واندحر الروم عن أرض اليرموك بلا رجعة رغم أعدادهم الهائلة، واثلج صدر خالد بلا شك كما لم يحدث من قبل، وكأن الجميع فى انتظار تهنئة من الخليفة تأتى للجيش وعلى رأسه خالد، واذا بالأمر على النقيض تماما . فتأتى الرسالة بتنحية خالد وتولية أبى عبيدة .

وهنا . . تأتى النية الصادقة لتثبت صاحبها أمام عاصفة عاتية أو اختبار عنيف، فإذا بخالد يلوم أبا عبيدة ـ لا على تقدمه عليه فى الصف بأمر الخليفة الجديد ـ وانما على تأخيره إنفاذ الأمر وإخفاء الكتاب ريثما تنتهى المعركة : «رحمك الله يا أبا عبيدة . . ما منعك أن تخبرنى حين جاءك الكتاب ؟» ثم يسارع إلى اعلان الأمر بنفسه على الملأ مادحا أبا عبيدة بذكر منقبته : «بعث عليكم أمين هذه الأمة، سمعت رسول الله «ﷺ» يقوله» ولا ينسى اعلان صدق حبه لعمر وزوال دخن فى المحبة قد ينشأ من اختلاف الآراء : «الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت وكان أحب إلىّ من عمر، والحمد لله الذى ولىّ عمر وكان أبغض إلىّ من أبى بكر ثم ألزمنى حبه» .

١٧ ـ لكن معسول الكلام ـ كما ذكرنا آنفا ـ لا يكفى للتدليل على صدق القلوب، إذ ما أحلى الكلام وأسهله على النفوس إن لم يقترن بعمل شاق يترجمه لواقع عملى، وقد اقترن ادعاء خالد بعمله، فلم يثبطه الحدث عن شىء من واجباته، ولم يتقلص جهاده بتقلص سلطانه، بل راح يصول ويجول فى دروب الشام، لا يهدأ

له بال ولا تنثنى له عزيمة، حتى بدا للناظر ـ من حسن بلائه ـ انه الأمير، وعبر عمر بنفسه عن ذلك فقال: «أمر خالد نفسه».

ان النفس الانسانية أمارة بالسوء، وما عجزت عن نيله بالإفصاح دأبت على نيله بالالتواء والمواراة، وكم من غاضب لنفسه عجز عن إعلان غضبه واستحى من طلب الرضا لنفسه، فلجأ الى طريق التناجي وصنع الجيوب، أو تردى نشاطه وانحسر جهاده وانطوى على نفسه الغاضبة إرضاء لها بذلك كله، وقد كان الأحرى به أن يبادر بقطع حبائل الشيطان كما بادر خالد، وان يلقى بحظ نفسه من نفسه، وحسبه فى ذلك ما روى عن النبى «ﷺ» «طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه، ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وان كان فى الساقة كان فى الساقة، ان استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»[١].

١٨ ـ ثم كان الاختبار الأكبر لخالد يوم عزله نهائيا عن إمارة أى شىء!!! ودعك من العزل ذاته، فإن عنف الأسلوب وجفاء المعاملة كان وحده اختبارا شاقا عنيفا للقائد المغوار.

وان كان البعض يرى فى الحادث أفولا لنجم خالد بن الوليد من سماء التاريخ، فاننا لم نره ساطعا كما سطع فى ذلك اليوم، فقد برز اخلاصه وتألق، وانتصر فى جولة سريعة حاسمة على دواعى الهوى وظلمات الفتن دون أدنى تعثر يذكر.

---

[١] رواه البخارى

ويلجأ خالد الى المبالغة فى الطاعة والانقياد، إمعانا فى درء هواجس الهوى ونزعات الشيطان، فيحسم حيرة ابى عبيدة فى قسمة النعلين ويعطيه احداهما كتنفيذ حرفى لأوامر الخليفة قائلا : «ما أنا بالذى يعصى أمير المؤمنين، فافعل ما بدالك» .

ولما استدار الشيطان ليلقى حبائله من طريق آخر على لسان رجل من جند خالد : «صبرا أيها الأمير فإنها الفتنة» كان جواب خالد سريعا حاسما لردع الفتنة فى مهدها : «أما وعمر حى . . فلا» .

ولطالما حاول الغاضبون لأنفسهم ايجاد المبررات لعصيانهم وتمردهم فى مثل تلك الأحوال، ولو أنهم صارحوا أنفسهم ونقبوا فى قلوبهم لأفتضحت أمامهم دوافع لا يشعرون بها لأنها أخفى من دبيب النمل[١] .

١٩ ـ لكن الضعف البشرى المجبول عليه الانسان قد يورث شيئا ما ـ ولو يسيرا ـ فى القلوب رغم اخلاصها، لا سيما اذا أصاب صاحبها ما أصاب خالد فى اختبارات . . عدة، ويبادر خالد الى درء ذلك الضعف البشرى، فيكاشف عمر فى اول مقابلة عن دخيلة نفسه دون مواراة : «لقد شكوتك الى المسلمين، وبالله انك فى أمرى غير مجمل ياعمر»، ويبدأ الحوار الاخوانى اللطيف : «من أين لك هذا اليسار الذى تجيز منه عشرة الاف؟» ويأتى الجواب ليدحض ظنونا زرعها التباعد والتجافى «من الأنفال والسهمان . . »

---

[١] تعبير مقتبس من قوله «ﷺ» : «اتقوا الشرك الخفى فإنه أخفى من دبيب النمل»

وتزداد الحقيقة جلاء فينفى خالد عن نفسه شبهة الشراهة وحب المال، ويهب مازاد عن حاجته لبيت مال المسلمين : « . . مازاد على الستين ألفا فهو لك»، وترق حدة عمر التى فرضها الشعور بالمسئولية، وتنكشف حقيقة مشاعره تجاه خالد «ياخالد . . والله انك علىّ لكريم والىّ لحبيب، ولن يصل إليك منى أمر تكرهه بعد ذلك»، ثم يعمد الى استدراك ما قد يظنه البعض فى خالد بعد الحادث الأخير، فيرسل فى الامصار من يعلن عن الدوافع الحقيقية وراء عزل خالد : «إنى لم أعزل خالدا عن سخطه ولا عن خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع» .

إن المكاشفة والمصارحة هى باب لا غناء عنه فى قاموس الأخوة فى الله، وهو لغة الدعاة دائما لمحاصرة الظنون قبل ان يستفحل شرها وينتشر وباؤها .

«إن أجمل ما يتحدث به الأخ لأخيه هى المصارحة أى المكاشفة، وهى أسمى ما يكون بين الأخوين من درجات المحبة وأنقى ما يكون بينهما من صفاء الود، . . وأرانى حين اتحدث بكل صراحة ووضوح أكون اكثر انشراحا وانطلاقا وأعمق توضيحا، وأسلس فى التعبير وأيسر فى الوصول، إذ لا يتعثر لسانى خوفا من كلمة خفية اكتمها أو معنى أخشى أن يكشف عن مكنون لا أرضاه، فالحديث من القلب يصل دائما إلى القلب»[1] .

---

[١] الدعوة الى الله حب ـ الجزء الأول ـ الاستاذ عباس السيسى

٢٠ - فإن تبقى فى القلوب شيء بعد المكاشفة فالله كفيل بتسويته متى صفت النفوس واستقامت النيات .

وقد زال كل ما فى نفس خالد تجاه عمر بعدما رأى من سيرته ما أذهب وجده[١] «قد كنت وجدت عليه فى نفسى فى أمور لما تدبرتها فى مرضى هذا وحضرنى من الله حاضر، علمت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل» .

وراح خالد يفصل الأمر مبينا عدل عمر وطباعه الحادة مع الجميع على السواء من أجل اقرار الحق، والتى كانت الدافع الحقيقى وراء قسوته على خالد وعلى غيره من الأمراء .

والمؤمن الصحيح يتلمس دائما لأخيه وأفعاله، أو يترك الأمر لله يبينه حين يشاء، ورحم الله من قال : «التمس لأخيك سبعين عذرا، فإن لم تجد فعذرا لا تعرفه» . ويختتم خالد مقالته بتأكيد صفاء قلبه تجاه عمر : «فذلك الذى اذهب ما كان فى نفسى منه» .

ثم يرسم لنا بصمته الأخيرة فى مواثيق الحب والأخوة فى الله، فيترك - ما لا يتركه إلا لحبيب وثيق - يترك انفاذ وصيته لعمر بن الخطاب .

٢١ - ولا يكتمل البحث دون التعرض الى مواقف عمر تجاه خالد، لنهيل ما تراكم عليه من أتربة خلفتها التحليلات المادية من اصحاب التصورات الأرضية، ليسطع جمال المواقف وأصالتها .

---

[١] حزنه

والحق يقال أن عمر كانت له مآخذ على قيادة خالد من خلال مواقف عدة، ولم يختلف معه أبو بكر من حيث المبدأ، إنما كان الاختلاف فى تقدير حجم الأخطاء وتحديد طرق العلاج، أما عمر فلم يكن يرى من علاج غير العزل والحسم القاطع .

على أن هذا ليس هو لب الحديث الذى نريده، فليس هناك شىء فى أن تختلف القيادات فى تقويم المواقف ومناقشة الأخطاء من أجل تهذيب الحركة واستقامتها، لكن ما قصدته هو توهم البعض ـ أو محاولته الأيهام ـ أن عمر كانت له دوافع شخصية من وراء مواقفه تلك، ولا نحب أن نتورط فيما تورط فيه بعض المخلصين من دفاع مستميت عن عمر رضى الله عنه، فسيرته العادلة تغنينا عن الرد على تلك الافتراءات المجحفة .

لكننى أود الاشارة على وجه الخصوص الى موقفين اثنين لعمر قد يلتبس ظاهرهما على بعض ابناء الحركة الاسلامية، فيجدون حرجا فى القلب يستحى اللسان عن الافصاح عنه خشية الخوض فى شخصيات الأصحاب رضوان الله عليهم .

الموقف الأول : قرار عمر بعزل خالد فى اليوم الأول لتوليه الخلافة ـ والموقف فى ظاهره ـ يوهم بضغينة ما فى قلب عمر، حتى اذا ما تملك القرار، لم يستطع كبت تلك الضغينة فبرزت منذ اللحظات الأولى، لكن المتأمل فى الأمر لا يرى القرار إلا تولية لأبى عبيدة، قبل أن يكون تنحية لخالد، لا سيما وأن تأمير خالد

كان اجتهادا من الأمراء الأربع كما اوردت بعض الروايات، فضلا عن أن أبا عبيدة كان يحتل المقام الأول بين الصحابة لدى عمر. كما تشير الى ذلك بعض أقواله، ومما يعضد ذلك أن عمر أمر أبا عبيدة بالاستفادة من خبرة خالد واتخاذه مستشارا له فى الحرب، كذلك اعجابه ببلاء خالد وشهادته بقوله: «أمر خالد نفسه».

الموقف الثانى: تلك المعاملة القاسية التى عومل بها خالد عند عزله عن قنسرين وهو كذلك يوهم فى ظاهره نفس الإيهام السابق، إلا أن ذلك الوهم يزول عند أول مراجعة لسيرة عمر التى يبرز خلالها بوضوح طابعه الحاد فى طلب الحق وعند محاسبة الأمراء على وجه الخصوص، وهو ما ذكره خالد عند موته.

ثم لا ننسى بعد ذلك ابراز المعنى الجليل الذى أعلنه عمر بقوله: «إنى لم أعزل خالدا عن سخطه ولا عن خيانة، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع» وهو معنى يصعب على الأرضيين ادراك مراميه، فنظراتهم المادية الضيقة تعجزهم عن رؤية تلك الآفاق البعيدة فى المنهج الاسلامى، لكن الخائض لدروب العمل الاسلامى المعايش لمعانيه السامية يدرك بداهة مراد عمر، إذ يعتبر الافتتان بالأشخاص والإنصراف إليهم عن التعلق بالله طامة كبرى تصيب الحركة فى المقتل.

إن موقف عمر مع خالد من المواقف الساطعة فى تاريخ الصحابة، وليس تهمة أو شبهة نتوارى من ذكرها كما أراد المرجفون.

٢٢ ـ ونقترب من الخاتمة . . لننظر الى الوراء . . فإذا بنا أمام رجل أعطى حياته لله، وقد أوتى براعة فائقة فى فن الحرب والقتال، سخرها كلها فى سبيل الله، ثم ظلت تلك البراعة تتنامى باضطراد حتى كادت تستنفد طاقاته وتستهوى ملكاته كلها فلم يتبق لجوانب أخرى الشىء الكثير .

ولقد أجمل خالد ذلك المعنى وهو يقول عن نفسه «شغلنى الجهاد فى سبيل الله عن تعلم كثير من القرآن»، فلم يكن فى الفقه فحلا ولا فى القرآن بارعا، إنما كان تخصصه وبراعته فى القتال، وإن كان ذلك لا ينفى تجاوزه الحد الادنى من الفقه والقرآن وغيرهما .

وقد تصطدم مقالة خالد بنهم بعض المخلصين الذين يحتمون على العاملين للاسلام ان يكونوا جميعهم على درجة عالية من تحصيل العلوم الشرعية الى درجة التخصص، محتجين بقول النبى «ﷺ» : «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١] ، وذلك خلل بين ـ ولا شك ـ فى فهم الاسلام !!!

فلم يكن الأصحاب جميعهم ـ رضوان الله عليهم ـ مهرة فى قراءة القرآن الى درجة بن مسعود أو زيد بن ثابت، ولم يكونوا أساتذة فى الفقه جميعا كعلى وابن عباس، ولم يكونوا كذلك بارعين فى الزهد مثل سلمان وابى ذر، ولم يكونوا جميعا على مثل

---

[١] رواه الطبرانى

ورع ابن عمر، كما لم يكونوا كلهم دهاة فى الحرب مثل خالد .

ان مبدأ التخصص أمسى حتميا فى تكوين الصف المسلم اليوم ـ كما كان فى الصدر الأول، وذلك لمواجهة الواقع الأرضى المعقد والمركب فى تخصصاته، والعلم المفروض هو الحد الادنى من علم الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وغيرهم، بصوره المبسطة التى يفهمها العوام والمثقفون سواء، أما علم الحديث والتاريخ واللغة والتفسير وغيرهم، فهو من فروض الكفاية تقوم به طائفة العلماء المتخصصين فيسقط عن الأمة كلها، وهم المقصودون بقوله تعالى :

«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم . .»[1] . اننا اليوم بحاجة الى الطبيب والمهندس والكيميائى وعالم الذرة والمقاتل . كما اننا بحاجة الى علماء الشريعة المتخصصين، وإلا انزوى الصف فى ركن ضيق من الحياة المعاصرة، وعدم وسائل التحدى والتغيير للواقع الجاهلى العنيد .

٢٣ ـ وكما كان خالد وجهته الى الله فى حياته كلها، فقد كان كذلك عند موته . «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له. .[2]» . فلم يستطع وهو على فراش الموت اخفاء أشواقه لساحة الجهاد التى وهبها حياته منذ أسلم «ما

---

[١] التوبة ١٢٢

[٢] الانعام ١٦٢، ١٦٣

ليلة يهدى الىّ فيها بعروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إلى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو، معليكم بالجهاد» .

وقد يشارك كثير من أبطال التاريخ خالدا فى أشواقه تلك، ولكن شتان بين دافع الدنيا ودافع العقيدة، بين تمنى الأمجاد الدنيوية وتمنى الشهادة، بين الحسرة على فوات العمر والحسرة على فوات شرف الموت فى سبيل الله، وذلك كله واضح فى كلمات خالد الأخيرة «لقد لقيت الزحوف، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وهاأنا أموت على فراشى كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء» .

ثم لا ينسى قائدنا المغوار أن يلقى علينا ـ قبل رحيله ـ الدرس الأخير فى إخلاص الوجهة لله، فيوقف ما تبقى فى بيته ـ فرسه وسلاحه ـ ويجعلها فى سبيل الله .

٢٤ ـ ويمضى خالد الى ربه . . وتمضى المسيرة الاسلامية قوية قائمة، لم تتأثر قيد شعرة لابتنحيته ولا بموته، كما لم تتأثر بموت غيره من عظماء والإسلام ! وتلك سمة فريدة لا تكون فى غير الجماعة الربانية التى تستمد قوتها من العقيدة قبل السلاح والعتاد والقادة المغاوير، بل يصنع القادة عندها فى مدرسة العقيدة . ان الحركة الجماعية فى الاسلام تنتظم كلها حول محور الايمان، وغياب الرجال لا يؤثر كثيرا على كفاءة الحركة طالما ظل السمت

الايمانى مهيمنا عليها . حتى موت النبى «ﷺ» لم يوقف المسيرة، واطلق أبو بكر صيحته المدوية عبر التاريخ «من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت» . وذلك هو الدرس نفسه الذى أراد عمر تلقينه يوم عزل خالد، بعدما ادرك بحاسته الإيمانية تطلع بعض القلوب الى خالد وانجازاته الباهرة، وانصرافها عن التعلق بنصر الله .

ومتى انحسر ذاك الطابع الايمانى تعثرت المسيرة أو ارتدت للوراء، وذلك هو التفسير الصحيح لمنحنى الصعود والهبوط على مدار التاريخ الاسلامى كله .





الفهـــرس

***

- رقم الإيداع ٥٧٨٢ / ١٩٩٠
I.S.B.N
977 -5065 - 05 - 4 -



هذه السلسلة

إذا كان محمد ﷺ هو خير البشر وسيد ولد آدم فإن صحابته الذين رباهم بحكمته وانتفعوا بصحبته هم خير أجيال البشرية على الاطلاق . إنهم الجيل الذى وضع يده فى يد النبى ﷺ مبايعين على التضحية ، بالغالى والنفيس لاعلان كلمة الله ، وبجهودهم المباركة بعد عون الله وتأييده قامت دولة الايمان والتوحيد . وارتفعت راية الحق والعدل ونفقت سوق الجنة ، وانتشرت الهداية فى العالم . ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وعلى هذا فإن سيرتهم العطرة بقيت مصدر إلهام لأجيال المسلمين تدفعهم الى معالى الأمور وتصرفهم عن سفاسفها .

ومؤلف هذه السلسلة من حياة الصحابة الأخ خالد الأنصارى ممن انتبهوا إلى قيمة هذه السيرة وإلى ما فيها من دروس لا بد أن يعيها جيل الصحوة الاسلامية ليتخذ منها منارات تهديه على طريق العمل للاسلام . وقد سلك مؤلفنا سبيل الفحص والتحليل قاصدا أن تكون هذه السلسلة وسيلة تربية ومنهج تقويم فلم يكتف بسرد الوقائع ـ على عادة كثيرة من الكتاب ـ وإنما اتجه الى هدفه بعد سرد يسير وقد حالفه التوفيق ورافقه السداد .

وإن دار البشير يسعدها أن تقدم لقرائها الكرام هذه السلسلة لعلها تكون زادا نافعا للعاملين . سائلة المولى عز وجل أن ينفع بها وأن يجزى كاتبها خير الجزاء .

والله من وراء القصد

الناشر



دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

طنطا : ٣٣ ش. الشهيد عادل الزواوى أمام كلية التربية النوعية

ت : ٣٢٢٤٠٤ / فاكس : ٣٣١٨٠٠